بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وبه نستعين

قال الشيخ ابو العباس احمد بن تيمية رحمه الله

اعلم رحمك الله ان الشرك بالله اعظم ذنب عصي الله به قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك والند المثل قال الله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقال تعالى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فمن جعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الالهية والربوبية فقد كفر باجماع الائمة فان الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لانه الاله المعبود الذي تالهه القلوب وترغب اليه وتفزع اليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية فكيف يصلح ان يكون الها قال الله وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين وقال ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية وقال تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين وقال اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين فالله سبحانه هو المستحق ان يعبد لذاته قال تعالى الحمد لله رب العالمين فذكر الحمد بالالف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد فدل على ان الحمد كله لله ثم خصص نفسه في قوله اياك نعبد واياك نستعين فهذا تفصيل لقوله الحمد لله رب العالمين فهذا يدل على انه لا معبود الا الله وانه لا يستحق ان يعبد احد سواه ففي قوله اياك نعبد اشارة الى عبادته بما اقتضته الالهية من المحبة والخوف والرجاء والامر والنهي واياك نستعين اشارة الى ما اقتضته الربوبية من التوكل والتفويض والتسليم لان الرب سبحانه وتعالى هو المالك وفيه ايضا معنى التربية والاصلاح والمالك الكامل هو الذي يتصرف في ملكه كما شاء فاذا ظهر للعبد شيء من سر الربوبية راى الملك والتدبير كله بيد الله كما قال سبحانه وتعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير فلا يرى نفعا ولا ضرا ولا حركة ولا سكونا ولا قبضا ولا بسطا ولا خفضا ولا رفعا الا لله سبحانه هو فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وخافضه فهذا المشهد هو من الكلمات الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية

والاول هو علم صفة الالهيه وهو كشف سر الكلمات التكليفيات فالتحقق بالامر
والنهي والمحبة والخوف والرجا يكون عن كشف علم الالهيه والتحقق بالتوكل
والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبيه وهو علم التدبير السارى
في الاكوان كما قال انما امره اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
فاذا تحقق العبد بهذا المشهد ووفقه الله تعالى لذلك بحيث لا يحجبه هذا
المشهد عن المشهد الاول فهو السعيد في عبوديته فان هذين المشهدين
بهما مدار الدين فان جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل
في مشهد الالهيه وجميع مشاهد العظمة والكبرياء والقهر والجلال
داخل في مشهد الربوبيه ولهذا قيل ان هذه الايه جميع سر القران
اياك نعبد واياك نستعين لان اولها اقتضى عبادته بالامر والنهي و
المحبة والخوف والرجا كما ذكرنا وهو اخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم
وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك ومن غفلة هذا
المشهد عن المشهد الاول ورأى قيام الله عز وجل على جميع الاشياء وهو
القايم على كل نفس بما كسبت وتصرفه فيها وحكمه عليها فرأى الاشياء كلها منه
صادرة عن نفاذ حكمه وارادته القدرية فغاب بها لاحظ عن التمييز
والفرق ولم يفرق بين الحسن والقبيح فقد خرج عن الشريعة بالكلية
وعطل الامر والنهي والنبوات ومرق من الاسلام مروق السهم من الرمية وان
كان ذلك المشهد قد اداهشه وغيبه عما عقله لقوة سلطنة الوارد وضعف
قوى البصيرة ان يجمع بين المشهدين فهذا معذور ومنقوص بالنسبة
الى من جمع بين المشهدين مشهد الامر الشرعي ومشهد الامر الكوني الارادي
وقد زلت في هذا المشهد اقدام كثير من السالكين لقلة معرفتهم بما تعبد
الله به المرسلين وذلك لانهم عبدوا الله على مرادهم منه فقنعوا بمرادهم عن
مراد الحق عز وجل منهم لان العبد يفني بمراده ومحبوبه ولو عبدوا الله
على مراده منهم لم يتكلم شيء من ذلك لان العبد اذا شهد عبوديته ولم
يزل مستقضا لامر سيده لا يغيب بعبادته عن معبوده ولا بمعبوده
عن عبادته بل يكون له عينان ينظر باحداهما الى المعبود كانه يراه كما قال
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم

جمعت

تكن تراه

تكن تراه فانه يراك والاخرى ينظر بها الى امر سيده لم يقعد على الامر الشرعي
الذي يحبه مولاه ويرضاه **فاذا تقرر هذا فالشرك شركان** شرك يكفر به صاحبه
وهو نوعان شرك في الالهية وشرك في الربوبية فاما الشرك الالهية فهو ان
جعل لله ندا اي مثلا في عبادته او محبته او خوفه او رجائه او انابته
فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله الا بالتوبة منه قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا الذي قاتل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم مشركي العرب لانهم اشركوا في الالهية قال الله تعالى ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا اجعل الآلهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقال الصابي جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها آخر الآية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كم تعبد قال ستة في الارض واحد في السماء قال فمن الذي تعده
لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء قال اسلم فعلمك كلمات فاسلم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل اللهم الهم رشدي وقني شر نفسي
واما الربوبية فكانوا مقرين بها قال الله تعالى ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان
كنتم تعلمون سيقولون لله الى قوله قل فانى تسحرون وما اعتقد احد
منهم قط ان الاصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبره وانما كان
شركهم كما ذكرنا اتخذ وامن دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وهذا
المعنى لا شك عند كل احد ان من احب شيئا من دون الله كما يحب الله
فقد اشرك وهذا كقوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وكل من خاف احدا كما يخاف
الله او رجاه كما يرجو الله ونحو ذلك **واما النوع** الثاني فالشرك
في الربوبية فان الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع
الحافظ الرافع المعز المذل فمن شهد ان المعطي او المانع او الضار او
النافع او المعز او المذل غيره فقد اشرك في ربوبيته ولكن اذا اراد
التخلص من هذا الشرك فينظر الى المعطي الاول مثلا فشكره على هذا الولاء
من النعم وينظر الى من اسدى اليه المعروف فيكافيه عليه لقول عليه السلام
من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تكافئوه فادعوا له حتى

لحصين

سالما فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل ذكر في
المايده فعلم ان هذه الاصول الثلاثة هي جماع ما يجب على الملل كلها وانها
امر بقتال اهل الكتاب بخروجهم عن الاصول الثلاثة في قوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
الآيه فذكر خروجهم عن حقيقة الايمان بالله واليوم الاخر وعن العمل
الصالح الذي هو فعل ما امر به **فصل** ومحمد ابن عبد الله
هو خاتم الرسل وافضلهم واكملهم صلى الله عليه وسلم تسليما
ودين الله هو ما بعثه به من الكتاب والحكمة وهو الاسلام الخاص
والايمان الخاص المتضمن للايمان العام والاسلام العام و
قد اوجب الله على جميع اهل الارض عربهم وعجمهم وانسهم وجنهم
الايمان به وطاعته واتباعه وتعزيره وتوقيره ونصره وغير ذلك من
حقوقه واوجب على الخلق اتباع الكتاب والسنه وحرم اتباع ما سوى
ذلك فقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك الآيتين وقال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا الآيه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآيه وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وثبت في صحيح مسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته ان اصدق الكلام كلام
الله وخير الهدي هدي محمد وكان عبد الله بن مسعود يقول ايضا
في خطبته كل خمس تجمعهما اثنتان الكلام والهدي فخير الكلام كلام الله
وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يعلم اصحابه ان يقولوا في خطبة الحاجه

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا
وذكره لهذه الاصول في خطبته يوم الجمعة وغيرها دليل على ان هذا من قواعد الاسلام
واصول الايمان بل ذكره لهذا الكلام بعد قوله اما بعد كما رواه جابر وغيره
دليل على ان هذا هو جماع الدين كما قررناه اولا فانه بعد الحمد والشهادتين يقول
اما بعد فان اصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وكل بدعة ضلالة فعلم بذلك كمال موضع هذا الكلام من الدين وذكر لانه مشتمل
على اصل الايمان شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله وعلى الايمان
بالله ورسله وكتبه فيه جماع امور الدين فانها نوعان قول وعمل كما قال ابن مسعود
انما هما اثنتان الهدى القصد والعمل بقال هدى يهدي هديا كما يقال مشى يمشي مشيا
وسعى يسعى سعيا ويقال هدى غير مهدي هدى ومن الاول قوله ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ومنه قوله ومن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ومنه قول امن لا يهدي الا ان يهدى على قراءة من قرا يهدي
على احدى القولين والهدى من هدى يهدي مثل من دل يدل ومنه الحديث
المأثور في السمت الهدى الصالح والاقتصاد والسمت جزء من خمسة وعشرين جزءا من
النبوة ومنه قول كان عبد الله بن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وكان
علقمة يشبه بعبد الله في هديه ودله وسمته وكان ابراهيم يشبه بعلقمة في هديه
ودله وسمته وكان منصور يشبه بابراهيم في هديه ودله وسمته وكان سفيان
يشبه بمنصور في هديه ودله وسمته وكان وكيع يشبه بسفيان في هديه ودله
وسمته وكان احمد بن حنبل يشبه بوكيع في هديه ودله وسمته وذلك لان المهتدي
لابد له من شيئين غاية يقصدها ومن عمل الى تلك الغاية وكل انسان فله قصد
وعمل فان اصدق الاسماء الحارث وهمام سواء كان قصده صوابا او خطأ وسواء
سعى اليه او لم يسع فمن لم يقصد الحق اوه قصده ولم يعمل لمقصوده فليس بمهتدي

بخلاق

بخلاف من قصده وعمل له فانه يهدي بالحق واذا كان كذلك فالواجب
ان ينظر في كل كلام فما وافق كتاب الله فهو حق وما خالفه فهو باطل والموافق له وان
كان حقا فيعلم ان كلام الله اصدق الكلام واحسن الحديث وكذلك ينظر
في كل عمل وحركة باطنة وظاهرة ويعلم ان خير ذلك وافضله هو ما هدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم نيته وعمله فافضل النيات نيته وافضل الاعمال عمله فيكون
هديه احسن الهدي كما قال الفضيل ابن عياض في قول الله ليبلوكم
ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قيل يا ابا علي ما اخلصه واصوبه فقال
ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا
لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان
يكون على السنة فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلص الاعمال لا يعبد الا الله
وحده لا شريك له كما علم ذلك من دينه الخاص والعام وكان يقول في دبر
صلاته لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن
لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون بل هو امام الموحدين
المخلصين لم يقم احد من الخلايق بدين الله وتوحيده باطنا وظاهرا كما قام به
ولم يدع احدا الى سبيل ربه كما دعا اليه ولم يجاهد احدا كما جاهد في سبيل
ربه وعمل اصوب الاعمال كما قالت ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وكان خلقه
القرآن وهو لم يفعل من العبادة ويشرع منها الا ما امر به ربه ولم يدع الى سبيل الله
الا باذنه كما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه الاية
وقال عنه ان اتبع الا ما يوحى الي وقال عنه اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم **ويتفرع** على هذا الاصل ان المتكلمين الذين خاضوا
في العلوم الالهية والمعارف الدينية والحقايق العلمية من جميع الطوايف المتكلمة والمتصوفة
والمتفقهة والمتفلسفة وغيرهم اهل الخطاب واهل الكتاب فان المهتدي منهم هو
المتبع لكتاب الله والسالكين طرق العبادات والزهادات والاحوال القلبية والتالهات